الاسرائيليون متخبطون ويتمنون ارجاع حركة فتح للحكم

حماس استطاعت أن تبني لنفسها قوة ردعية في مواجهة اسرائيل والتصادم بين الطرفين آتٍ لا محالة

■ اسبوع الانتخابات أطل علينا، والتوتر الأمني في تعاظم: هل ستوجه ضربة كبيرة الى العمق الاسرائيلي عشية التوجه الى صناديق الاقتراع، أم أننا سنشهد اسبوعا آخر من تواصل الجمع الناجح بين ضبط حماس لنفسها والعمليات الاحباطية التي يقوم بها «الشاباك» والجيش الاسرائيلي. الى جانب الخوف من فقدان الأرواح، ينبع هذا التوتر بالأساس من الافتراض بأن حدوث عملية كبيرة قد يؤثر على نتائج الانتخابات.

إجبار الجهاز السياسي والأمني في اسرائيل على صياغة قراراتهم بناء على هذا الافتراض يعتبر انتصارا كبيرا لحماس ونقطة تُسجل في رصيد قدرتها الردعية في مواجهة القيادة الاسرائيلية من دون أن تكون هناك حاجة الى تنفيذ عملية جديدة واحدة. ذكرى العمليات السابقة التراكمية، خاصة تلك التي جرت عشية انتخابات 1996، أصبحت كافية بحد ذاتها.

حُمى الطيور في حكومة الليكود (وكديما الآن)، المكونة من الصقور الذين تحولوا فجأة الى حمائم، نجمت عن تقارب المواعيد السياسية: الانتخابات الفلسطينية في نهاية كانون الثاني (يناير)، والاسرائيلية في نهاية آذار (مارس). لو كانت الانتخابات الاسرائيلية قد جرت في موعدها (في تشرين الثاني (نوفمبر) من هذه السنة)، أو لو انها حدثت قبل الانتخابات الفلسطينية، لربما كانت الحكومة أكثر حزما في مواجهة القوى التي أخضعتها وأدت الى وصول حماس للحكم: قدرة حماس على الغاء الهدنة التي أخذتها على عاتقها في مطلع 2005، والسياسة الامريكية التي لم تضع شرطا حاسما مشابها للشروط التي تطلبها منها الآن قبل الانتخابات (وبعد أن أصبح الأمر متأخرا جدا)، أي: الاعتراف باسرائيل والتنصل من الارهاب والالتزام بتعهدات السلطة.

بعد أن انتهى التردد في حماس حول المشاركة في الانتخابات في خريف 2005، وانتصار عمير بيرتس على شمعون بيريس، الأمر الذي أدى الى خروج حزب العمل من الحكومة وتقديم موعد الانتخابات الى آذار (مارس)، خشي شارون (حتى الرابع من كانون الثاني ـ يناير) وموفاز واولمرت من أن يؤدي الغاء نتائج الانتخابات الفلسطينية أو إفشال مشاركة حماس فيها الى دفع حماس لتنفيذ تهديداتها بخرق التهدئة. مغزى ذلك كان شهرين صعبين من العمليات، الأمر الذي سيعرقل احتمالات نجاح كديما. يُضاف الى انجاز المقاومة الاسلامية ـ حزب الله وحماس وغيرهما ـ في تعزيز «وعي الكفاح» الذي يدفع اسرائيل الى الانسحابات، انتصار آخر وهو انتصار الردع. هذا ليس الفشل الوحيد للقيادة الاسرائيلية في ظل الردع المقابل: في عمونة سجل المعارضون للانسحابات الاضافية في رصيدهم قوة جديدة لدفع الحكومة الى التراجع عن قرارها باخلاء بؤر استيطانية ومستوطنات.

التملص من المسؤولية عن الاسهام الاسرائيلي في انتصار حماس، يدفع الاسرائيليين للشعور بالمرارة من الانتخابات في فلسطين. من المريح لهم أن يتناسوا حقيقتين ثابتتين: القائمة الوطنية في الانتخابات ـ التي تسمح بتحويل أقلية كبيرة في اوساط الناخبين الى اغلبية في البرلمان من بريطانيا حتى فلسطين ـ كانت قد حظيت بثناء كبير من بن غوريون. أما الحقيقة الثانية المتعلقة بابتداع منصب رئيس الوزراء كوزن معادل للرئيس، فهي خطوة اسرائيلية امريكية بدأت في عهد ياسر عرفات حيث طُرح اسم محمود عباس كرئيس للوزراء.

الحيرة في اسرائيل الآن تدور حول موعد التصادم مع حماس: قريبا من خلال معركة عسكرية على أمل اعادة فتح للحكم، ولكن من خلال وجوه أكثر شبابا وأقل فسادا، أم بعد سنة وأكثر إثر الهدوء النسبي ولكن بثمن تعاظم فلسطيني خطير. مستشار الأمن القومي، غيورا آيلاند، ألمح في نقاش جرى في اطار مؤتمر ايباك الى امكانية تطبيق أحد البدائل الى أن تخرج اسرائيل لشن الحرب على فلسطين الحمساوية: فصل الغلاف الجمركي في غزة عن الضفة بحيث تتحول غزة الى وحدة منفصلة عن اسرائيل والضفة.

في هذا الاسبوع والى أن تجري الانتخابات، تبدو اسرائيل والسلطة كمسافرين على نفس الطريق. هذا صحيح، إلا أنه خداع لأن حماس تشبه ذلك السائق الثمل من الخضيرة الذي يسافر بسرعة في الطريق الساحلي في الاتجاه المعاكس. هذه الرحلة ستنتهي بتصادم قاتل بالتأكيد اذا لم يَصحُ السائق بنفسه أو يتبين أن وقوده قد نفد.

أمير أورن
مراسل الصحيفة لشؤون الجيش
(هآرتس) 2006/3/21

فلسطينيات يتسلمن مساعدات غذائية هبة من الاتحاد الاوروبي في رفح

اعادة فتح معبر كارني لمدة نصف ساعة لا تنهي التهديد الاقتصادي الواقف على أبواب قطاع غزة

■ اعادة فتح معبر كارني (المنطار) قبل يومين لمدة نصف ساعة تقريبا، كانت مثل الموافقة المؤقتة على إدخال بضائع عن طريق مصر عبر معبر كيرم شالوم. انهما لا تُنهيان التهديد الاقتصادي الواقف على أبواب قطاع غزة. فطالما واصلت اسرائيل ربط موضوع فتح المعابر بما يجب أن تقوم به السلطة الفلسطينية لمنع التجاوزات الأمنية، فان هذه المعابر ستعود الى الاغلاق في كل لحظة. الحديث لا يدور فقط عن وجود إنذارات بوقوع عمليات ارهابية بقدر ما ستكون هذه الانذارات حقيقية. بل الحقيقة هي أن معبر كارني أُغلق خلال هذه السنة بما يعادل 60 في المئة من المدة التي مرت حتى الآن، مقابل اغلاقه 18 في المئة فقط طوال السنة الماضية. هذا يشير بوضوح الى وجود معايير غريبة مثل اقتراب موعد الانتخابات الاسرائيلية، مثلا، وتتويج حركة حماس في الانتخابات الفلسطينية، وهذه ساهمت بنصيبها.

ليس زيادة في القول الاشارة الى أن اسرائيل ترغب الى حد ما في الانفصال التام عن قطاع غزة والتخلص من مسؤوليتها الاقتصادية عن القطاع. فبعد التوقيع على «اتفاق رفح» في أعقاب الانفصال عن غزة، قررت أنه طالما انها لا تستطيع مراقبة نوعية البضائع التي تدخل من مصر الى قطاع غزة، فانها لن توافق على أن يكون مفتوحا من اجل إدخال البضائع. وقررت أن البضائع التي تأتي من مصر يجب أن تمر عبر معبر كارني، وهذا يشكل تحقيقا لفكرة ومطلب أن قطاع غزة والضفة الغربية وحدة واحدة كما ورد التأكيد على ذلك في اتفاقات اوسلو واتفاق باريس. ففي ذلك الحين تطلع الفلسطينيون الى أن يتحول معبر رفح في يوم من الايام الى المعبر الرئيس الدائم للبضائع، وبذلك تُستكمل سيطرتهم على المعابر بينهم وبين مصر والى العالم على نحو تام. من هنا ينبع اعتراضهم على تحويل معبر كيرم شالوم، الموجود كله تحت السيطرة الاسرائيلية، الى ممر دائم للبضائع وليس بصفة مؤقتة، ذلك لأنه من وجهة نظرهم فان «ممرا مؤقتا» سيتحول مع مرور الوقت الى «ممر دائم».

اسرائيل التي تقف على عتبة الانتخابات، والتي أعلنت أنها لا تنوي تقديم المساعدة الاقتصادية للسلطة الفلسطينية التي ستقودها حماس، تتمسك بمعبر كارني كوسيلة للاثبات بأن انسحابها من غزة قد وضع حدا للاحتلال هناك.

وفي المقابل، فانه لا يمكن القبول بالموقف الفلسطيني، الذي بموجبه أنه «حتى لو مات الفلسطينيون جوعا»، فانهم لن يسمحوا بادخال البضائع عن طريق معبر كيرم شالوم. فالفلسطينيون لا يمكنهم توقع تأييد موقفهم غير الانساني والمبني على مخاوف سياسية حتى لو كانت هذه المخاوف لها أساس. فاسرائيل والسلطة الفلسطينية، حتى وإن كنا نتحدث عن سلطة بقيادة حماس، ملزمتان بالتوصل الى اتفاق وتفاهم في موضوع تشغيل معبر كارني وعدم تحويله الى ساحة قتال أو وسيلة سياسية، حيث يكون المتضررون الوحيدون منه هم المواطنين الأبرياء. فاتفاق حول معبر كارني لا تضر بقدرته على العمل وتضمن العاملين فيه والذين يتنقلون من خلاله أمر واجب لجميع الأطراف، بل إن هذا قد يشكل نموذجا أوليا لتفاهم سياسي بين اسرائيل وحكومة حماس.

أسرة التحرير
(هآرتس) 2006/3/21

لا يمكن أن تحدث اشياء تقلب الخريطة السياسية خلال اسبوع

بدء دورة السباق الأخيرة في الانتخابات الاسرائيلية

■ دخل النضال على اصواتنا كما اعتادوا القول، دورة السباق الأخيرة. في الاسبوع الذي بقي الى يوم الانتخابات، كما يعدوننا، سيسحب السحرة أرانب مدهشة من القبعات. أما طبول الطمطم في القبيلة فستستدعي المصوتين الى البيت. ستُغرق حافلات معلمة بالأرقام 1 الدولة وتُقنع 1988 فصل 23,936 صوتا بين الليكود والعمل بعد يومين، وبسبب الحملة الانتخابية لـ «حفاد» «نتنياهو جيد لليهود»، التي بدأت قبل يومين أو ثلاثة من انتخابات 1996، تغلب نتنياهو على بيريس بـ 293457 صوتا.

لماذا نقول في ظاهر الأمر؟ لانه في كل واحدة من المعارك الانتخابية المذكورة آنفا الثلاث كان يمكن بيان النتائج بعدد من العوامل، لم تنجم فجأة ولم تولد لزلة لسان حمقاء مُرفّه أو من تعبير لاذع برّاق مُحرر.

في 1981، مثلا، كان هناك قصف المفاعل الذري العراقي ـ قبل عشرين يوما من قضية «الرعاع» ـ الذي دفع المعراخ برئاسة شمعون بيريس الى تخلف انتخابي، (وبسبب ذلك التخلف كانت هناك محاولة لمديري الحملة الانتخابية لاستبدال رابين ببيريس).

في 1996، بمقابلة ذلك، ظهرت لافتات «نتنياهو جيد لليهود» لا وحدها. فقد في ظاهر الأمر توجد ثلاث سوابق معاكسة. في ظاهر الأمر، بسبب عرض «الرعاع» لدودو توباز في السابع والعشرين من حزيران (يونيو) 1981 فاز الليكود بعد مضي ثلاثة ايام بامتياز بـ 10,405 أصوات على المعراخ، وبسبب حادثة تفجيرية دموية في حافلة بقرب أريحا في 30 تشرين الاول (اكتوبر) 1988 فصل 23,936 صوتا بين الليكود والعمل بعد يومين، وبسبب الحملة الانتخابية لـ «حفاد» «نتنياهو جيد لليهود»، التي بدأت قبل يومين أو ثلاثة من انتخابات 1996، تغلب نتنياهو على بيريس بـ 293457 صوتا.

لماذا نقول في ظاهر الأمر؟ لانه في كل واحدة من المعارك الانتخابية المذكورة آنفا الثلاث كان يمكن بيان النتائج بعدد من العوامل، لم تنجم فجأة ولم تولد لزلة لسان حمقاء مُرفّه أو من تعبير لاذع برّاق مُحرر.

في 1981، مثلا، كان هناك قصف المفاعل الذري العراقي ـ قبل عشرين يوما من قضية «الرعاع» ـ الذي دفع المعراخ برئاسة شمعون بيريس الى تخلف انتخابي، (وبسبب ذلك التخلف كانت هناك محاولة لمديري الحملة الانتخابية لاستبدال رابين ببيريس).

في 1996، بمقابلة ذلك، ظهرت لافتات «نتنياهو جيد لليهود» لا وحدها. فقد سبقها، أو في واقع الأمر ولدّها، قرار رؤساء الجمهور الحريدي على تأييد نتنياهو لا بيريس. وهذا القرار ايضا كان متوقعا جدا، ولم يكن على وجه الدقة تطورا مدهشا في نهاية السباق.

في 1988، تحقق في واقع الأمر الكابوس الكبير الذي يقلق أكثر الاحزاب في هذه اللحظات حقا: كان خطأ مستطلعي الآراء ضئيلا جدا. فعلى سبيلَ المثال، توقع استطلاع «داحف» الذي نشر قبل يوم من العملية التفجيرية في الحافلة، 40 نائبا لليكود (فاز بهم حقا) و40 نائبا للعمل (الذي حصل في صناديق الاقتراع على 39). يصعب أن نرى كيف أثرت تلك العملية في نتائج الانتخابات التي أُجريت قريبا منها. لا يوجد أي أساس لقياس تذبذب النواب نتيجة لها. ولا يوجد أي ضمان ايضا لأن تبدو الكنيست السابعة عشرة كما تتنبأ استطلاعات الرأي. ولكن يجوز أن نرتاب بالأهمية وبالفائدة السياسية للحيل التي نرتقبها في الاسبوع الأخير من المعركة الانتخابية.

عاموس كرميل
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/3/21

ما تسمى السلطة الفلسطينية لا تملك أدنى مقومات السلطة وهذا الوضع المأساوي يُريح اسرائيل

■ ساد في العالم القديم الاعتقاد أنه بالاضافة الى العناصر الاربعة التي يتركب منها عالمنا ـ النار، والهواء والماء والتراب ـ يوجد عنصر خامس هو «الأثير»، الهواء الأعلى الذي رُكبت منه العوالم العلوية. لم ير أحد الأثير أو يتعرف بوضوح نشاطا له يمكن قياسه. من اجل الحقيقة شهد كل شيء بأنه لا يوجد أثير. ورغم ذلك تمسك علماء كثيرون بهذا العنصر الغامض حتى القرن الثامن عشر. فقد كان الأثير ببساطة مبتذل الاستعمال بحيث لا يمكن التخلي عنه. فدائما عندما لا تعرف تفسير شيء ما، كان الأثير الذي لا يُقاس والذي لا يُرى يخدمك. هذا هو الأثير أيها الغبي.

وها نحن الآن في القرن الواحد والعشرين ويتبين أنه لم يزل من العالم الايمان بكيانات وهمية. فخذوا على سبيل المثال واحدا من أشدها شعبية ـ «السلطة الفلسطينية». فكل من يستطيع أن يرى يرى أنه لا يوجد في حقيقة الأمر شيء كهذا. أي أنه يوجد بالطبع فلسطينيون حتى انهم يسكنون في مكان ما، لكن السلطة الفلسطينية؟ أي سلطة تقصدون بالضبط؟ ربما في مرة قبل الانتفاضة الثانية، كان هناك، وراء جبال الظلام والحواجز، شيء ما كان يمكن أن يتطور ليصبح سلطة، أي دولة انتقالية فيها مؤسسات وصلاحيات وبنى تحتية. ولكن منذ اندلعت انتفاضة الاقصى دمرت دولة اسرائيل بمنهجية البنى التحتية للفلسطينيين ومعها كل تعبير عن الصلاحية والنظام السياسيين.

يمكن أن يجادل بعضنا بعضا في سؤال ماذا كان نصيب الفلسطينيين انفسهم في العملية، ولكن يصعب جدا أن يجادل بعضنا بعضا في النتائج. فوراء الحواجز تمتد منطقة بناها التحتية المادية، والاجتماعية والسياسية منهارة، ولا يوجد فيها لا مؤسسات تؤدي عملها ولا قواعد لعب يقبلها الجميع، والشبان فيها لا يقبلون طاعة شيء وجارتها عظيمة القوة تتصرف فيها كما تتصرف فيما تملك، أي أنها تحل كل سوء فهم أو صعوبة بالخط الأقصر بين نقطتين سياسيتين وهو العنف.

المنطقة الفلسطينية أرخبيل معقد من الجُزر، كل واحدة منها تحكمها جماعة من المسلحين. فمثل اسرائيل، التي هي موضوع كراهيتها وتقديرها والمثال الذي تحتذي به، هذه الجماعات تحل المشكلات بالقوة. لكي يكون في الامكان الحديث عن «سلطة»، يجب أن تكون للدولة سلطة محتكرة للعنف ـ هذا هو المبدأ الأول في انشاء دولة ـ وأن تؤدي مؤسسات السلطة عملها، وأن يذهب الاولاد الى المدارس، وأن تقوم سلطة جماهير، وأن تكون للسلطات قدرة معقولة على حشد اجماع المواطنين. لا يوجد أي واحد من هذه الشروط في المنطقة الفلسطينية.

لماذا اذا يواصل الجميع النظر الى أنقاض السلطة هذه مثل النظر الى شبه دولة؟ لان هذا مريح جدا. فمن جهة لا تتكل اسرائيل على الفلسطينيين بشيء، وهي لاسباب مختلفة لا تمنحهم القدرة على انشاء دولة تهتم برفاهة سكانها، وهي تتصرف معهم كما تتصرف مع جماعة من اللصوص. ومن جهة ثانية تعرض عليهم ـ أي على جزء من نخبتهم السياسية ـ مطالب داحضة لاعطاء ضمانات واعتمادات لا يمكن لهم اعطاؤها، وتعاقبهم عندما يخطر ذلك على بالها، وتتحلل من كل مسؤولية. هل الناس في فلسطين على شفا مجاعة؟ أو متى كانت الأمة الاسلامية الأكثر علمانية تغرق في اليأس والهذيانات الدينية؟ هذه مشكلتهم. لهذا توجد لهم حكومة.

لسوء الحظ هذا الترتيب مريح ايضا للنخبة السياسية الفلسطينية. يعلم الناس جيدا أنه لا توجد أية «سلطة» لكن يريحهم أن يتجولوا في العالم كمسؤولين في السلطة لا كقادة عصابات.

وماذا عن الاعلام؟ أيُعلن عن الخدعة؟ هل يناقش بجد الحاجة الى انشاء سلطة دولية هنا تحمي الفلسطينيين من أنفسهم ومنا، وربما تضمن احتمالا للمستقبل؟ لا في الحقيقة. فأمنون ابراموفيتش ورينا متسليح يشغلان نفسيهما جدا بما يُوجه الى نتنياهو من حملات الطعن. هذا أقل تعقيدا ويثمر حصصا أكبر. أتُحبون الأترُج؟ هنيئا مريئا.

أفيعاد كلاينبرغ
كاتب دائم في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/3/21

انفلونزا الطيور تهمه اكثر من سياسة الحكومة

الاسرائيلي تحول الى قاض دوري ليحكم حول الأخطار الأمنية الشخصية خلال السنوات الأخيرة

■ خلال السنوات الأخيرة تحول الاسرائيلي الى قاض دوري ليحكم حول الأخطار الأمنية الشخصية. فقبل نحو ثلاث سنوات، لم يكترث الجمهور، مثلا، من الانذارات التفصيلية التي صدرت عن أجهزة الأمن، من العناوين المتفجرة في وسائل الاعلام، ولا من المثال الشخصي للوزير المعيّن، ولم يلتزم بتقديرات «الشاباك» خلال الاستعدادات الامريكية للهجوم على العراق.

هكذا نتصرف، ودون أن ننتبه، وفي كل أمر تقريبا، فاننا اعتدنا الاعتماد على السلطات. فنحن نحمي أنفسنا عن طريق شركات حراسة خاصة، وذلك من خلال الاعتقاد الأساسي بأن الشرطة ليست مؤهلة. فنحن الذين نقرر ما اذا كنا سنصدق الانذارات الصادرة عن القيادة لمحاربة الارهاب، وعن الجهاز الصحي وغيرها من الاجهزة الاخرى التي من المفترض انها تعرف الامور أفضل منا، وذلك لأننا تعلمنا بأن ذلك ليس صحيحا. وهكذا يبدو أن الجمهور يرد على أخبار انتشار حُمى انفلونزا الطيور: ينظر نظرة انسان صاحب تجربة، نحو نشاط السلطات المسؤولة عن هذه المسألة وبالعاصفة الاعلامية، ويزن ما اذا كان سيدخل في هذه الفوضى، ويقرر في النهاية بأن «لا».

منذ حوالي السنة وهم يُحدثوننا عن هذا المرض الغريب الذي يتجول في العالم، وواضح أنه يوجد قلق حقيقي بأن ينتقل هذا المرض الى مرحلة أخطر ويصبح عدوى تنتقل من انسان الى انسان، وبهذا يصبح مرضا وبائيا، وهذا لم يتحقق حتى الآن. لقد مات حتى اليوم نحو 100 شخص من هذا المرض في أرجاء العالم. وموت انسان يعتبر حدثا مأساويا، ولكن حسب المقاييس الدولية فان موت نحو 100 شخص يعتبر رقما أصغر من أن يُصنف بالخطورة. وموت 100 انسان يمكن أن يحدث جراء سقوط جسم ما عليهم، أو انهم تناولوا طعاما تعرض لضوء الشمس فترة طويلة. فحُمى انفلونزا الطيور، بهذا المعنى، لهلا علاقات عامة أفضل بكثير من أمراض أخطر منها بكثير. صحيح أن تفشي مرض حُمى انفلونزا الطيور في اسرائيل له أضرار اقتصادية بالغة على فرع تربية الدواجن، ولضرورة إتلاف مئات الآلاف من الطيور بصورة فورية سيكون تأثيره على مدى تلبية الاحتياجات اليومية من الدواجن، باعتبارها سلعة أساسية في قائمة الغذاء الاسرائيلية. وحتى الآن، فان هذه تعتبر ضربة من الضربات التي تنزل فوق رؤوس المزارعين، والذين يجب على الدولة تعويضهم، وما عدا ذلك فان كل الأمور تبقى في سياق التصرفات الاسرائيلية المعروفة.

وعلى سبيل المثال، الاثبات بأنه لا شيء يمكن حدوثه على المستوى المدني الخالص. فيوم أمس استبشرنا بأن وزارة الدفاع ستقوم بدعم الطواقم التي تعمل على إزالة أكوام الدجاج المُتلف. واتضح أنه يوجد طاقم واحد فقط، الذي يعتمد أساسا على «عدد من العمال الاجانب» التايلانديين الذين يعملون في الأساس في مجال تربية الطيور، وأن هؤلاء أصبحوا لا يمكنهم الوقوف على أرجلهم من التعب، فمن الذي سيدعم هؤلاء؟ الجيش بطبيعة الحال. نحن نتحدث عن 160 شخصا فقط، أي رقم يمكن تحصيله من مجرد حديث سريع مع احدى شركات مقاولات الأفراد المتوسطة. وهنا يمكن السؤال هل هذا هو دور الجيش فقط؟ وهل نتحدث عن كارثة بحجم كبير يتطلب معها تجنيد القدرات العسكرية اللازمة؟ ولكن، ما لنا ولكل هذا؟ توجد مهمة، وعليه يُطلب من الجيش تنفيذها.

وبنفس الاسلوب التلقائي، فان اصواتا ترتفع صارخة «فشل» فلم يتضح حتى الآن ماذا حدث هنا، ولم يتضح كيف سينتهي ذلك، ولكن عندنا، وكما يبدو: فاننا نعتقد أن الاجهزة الرسمية لا تعمل، ونحن نحكم ـ لأنفسنا ـ على ما يجري، ونحن نطلب من الجيش أن يقدم المساعدة، وبعد ذلك فاننا سنطالب أحدهم بدفع الثمن.

عوفر شيلح
كاتب دائم في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/3/21

يبيع المخدوعين الكثيرين من الجمهور بضاعة مستحيلة وغير قابلة للتطبيق حسب كافة المعايير

ليبرمان سيكون مفاجأة هذه الانتخابات بشعاره حول ترانسفير عرب اسرائيل

■ الباحثون والمحللون يعدون بأن يكون افيغدور ليبرمان مفاجأة هذه الانتخابات. هم يقولون إن اقتراحه باخراج أم الفحم وقرى المثلث من حدود دولة اسرائيل ينال رضى أناس كثيرين من الأطياف المختلفة ويتجاوز معاقل اليمين. «الاستعداد» للتنازل للفلسطينيين عن اراض موجودة ضمن الخط الاخضر مقابل مناطق مأهولة باليهود في الضفة، يحول الترانسفير على الطريقة الليبرمانية الى خطوة مشروعة حتى في نظر اشخاص يعتبرون أنفسهم متنورين وحضاريين.

في حزب كديما، حزب بيرس ورامون، قرروا عدم السير خلف عمير بيرتس ويوسي بيلين اللذين أعلنا عن أن مشاركة «اسرائيل بيتنا» الذي يترأسه ليبرمان في الائتلاف، سيدفع العمل وميرتس الى البقاء في المعارضة. حزب كديما الذي يملك فرصة تشكيل الحكومة، تبنى استراتيجية تجاهل حزب الترانسفير. مسؤولون كبار في كديما يدعون أن كل ما يُقال حول التحالف مع حزب ليبرمان هو شائعات وتأويلات صحفية، وأنه لم يجر أي نقاش بعد حول تشكيلة الحكومة القادمة. أنصار الناطقين بالعبرية من «اسرائيل بيتنا» وأنصار «كديما» يعرفون ليبرمان لايت الذي يكتفي بمبادلة اراض متواضعة ويعد بفرض النظام والقانون في الشوارع. أما رسائله المتطرفة فيحتفظ بها لدعايته الانتخابية باللغة الروسية. القادمون من روسيا يحصلون على ليبرمان في أحسن صورة ـ عنصرية مقطرة. أما بالعبرية فلا يتطرق الى الأمور التي قالها في أيار (مايو) 2004 إذ نادى بنقل 90 في المئة من عرب اسرائيل الى المناطق بمن فيهم سكان عكا ويافا وسخنين. حسب اسلوب ليبرمان المُعدل «ليس لهم مكان هنا، وليأخذوا متاعهم ويذهبوا الى الجحيم».

الناخبون «المتحضرون والمتنورون» الذين يعتقدون أن ليبرمان سيصيد لهم عصفورين بحجر واحد ـ حلوا المشكلة الديمغرافية وكذلك حلوا مشكلة الكتل الاستيطانية ـ يجدون أمامهم يسرائيل حسون الرجل رقم 3 في قائمة اسرائيل بيتنا. حسون يحمل بطاقة نائب رئيس «الشاباك» سابقا التي تعتبر بطاقة دخول حرة الى الصالون الاسرائيلي.

ولكن حسون لا يُحدث مستمعيه في مقابلاته الاعلامية الكثيرة عن الحقيقة كلها، أو عن اعماله التجارية الخاصة أو موقفه بصدد احتمالات نجاح فكرة تبادل الاراضي بسكانها. حسون يحتفظ لنفسه بسر علاقاته مع محتكر الوقود في المناطق، عوفاديا كوكو، الذي يشتبه بقيامه بأعمال غير قانونية والتجارة بفواتير وهمية بقيمة 250 مليون شيكل، والذي نجا بأعجوبة من الدخول الى السجن. حسون لا يُشرك جمهور الناخبين ايضا في حكاية المحادثة التي جرت في أواسط عام 2000 خلال المفاوضات بين الطواقم الاسرائيلية والفلسطينية والتي تطرقت لتبادل الاراضي بين أم الفحم ومعاليه ادوميم. صائب عريقات هو الذي كان قد سأل الاسرائيليين حينئذ عن رأيهم بهذه الفكرة. رئيس الطاقم الاسرائيلي عوديد عران رد عليه: «أنت لا تريد أن تعرف ماذا ستكون نتائج الاستفتاء الذي سيسعى لمعرفة موقف عرب اسرائيل من هذا الاقتراح». حسون الذي كان عضوا في الطاقم أيد تقدير عران بلا تحفظ. ليبرمان ليس بحاجة لموافقة عرب اسرائيل على استبدال هوياتهم الاسرائيلية بهوية فلسطين. ولكن من الأجدر بناخبي ليبرمان أن يعرفوا ايضا انه حتى لو وصل بطلهم الى الحكم، فمن المشكوك فيه أن يستطيع تجسيد حلمه هذا، وأن ينهضوا في الصباح ليشعروا أنهم شعب من دون عرب. البروفيسور اسحق زمير، قاضي المحكمة العليا المتقاعد والمستشار القضائي للحكومة قبل ذلك قال لصحيفة «هآرتس» بأنه يشك في أن قانون سحب الجنسية من مواطنين اسرائيليين بسبب أصولهم سينجح في اجتياز محكمة العدل العليا. البروفيسور امنون روبنشتاين، الحائز على جائزة اسرائيل للقانون لعام 2006، ورئيس المركز متعدد المجالات في هرتسليا، لا يعتقد بامكانية نقل مواطنين اسرائيليين الى خارج حدود الدولة من دون تمكين من لا يرغبون في ذلك منهم بالاستقرار في مكان آخر في ارضهم. روبنشتاين يقول ايضا إنه إثر قرار الكنيست لعام 1999 لالغاء فرض القانون والادارة الاسرائيلية على أي أجزاء من القدس بما فيها التي أُلحقت في عام 1967، ليس كافيا اتخاذ قرار عادي في الكنيست وانما يتوجب سن قانون أساس يُتخذ بتأييد اغلبية اعضاء الكنيست خصوصا اذا كان يتعلق بالتنازل عن اراض ضمن سيادة الدولة منذ اقامتها. اذا، ربما يقوم ليبرمان بارسال محكمة العدل العليا والكنيست في اطار القانون والنظام اللذين يعدنا بهما الى الجحيم.

عكيفا الدار
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/3/21

المستوطنون نجحوا في امور كثيرة وطمسوا وعي الاسرائيليين عن الضرر الفادح الذي الحقوه بالدولة

■ هل فشلوا حقا؟ وهل سيلقى المشروع الاستيطاني الهائل عما قريب الى مزبلة التاريخ؟ زميلي الوف بن يرد على هذا السؤال على النحو التالي: أجل المستوطنون فشلوا فشلا مذهلا (كما كتب في مقالة جيدة التعليل في «هآرتس» 3/16 الوف بن يوضح ان المشروع الاستيطاني الهائل يوشك على الانتهاء في ظل خطة اولمرت «للانطواء».

المستوطنون لم ينجحوا حسب رأيه في جر عدد كاف من اليهود للاستيطان في المناطق وابتعدوا عن الجمهور العريض ليبقوا على الهامش. كما ان المستوطنين حسب رأيه لم يلعبوا أي دور امني في مكافحة الارهاب.

ولكن وبالرغم من انني كنت اود بأن اصدق ما يقوله بكل جوارحي وبالرغم من أن المستوطنين لم ينجحوا فعلا في الوصول الى ارض اسرائيل الكاملة الا أنهم ما زالوا بعيدين عن الفشل والكفاح من أجل انقاذ اسرائيل من اياديهم سيستغرق مدة طويلة ويكلف ثمنا باهظا بالدم والدموع. من الصعب ايضا التنبؤ بمن سيتغلب على من ـ يهودا على اسرائيل ام اسرائيل على يهودا. لان المتآمرين غريبي الاطوار والخلاصيين والمتعصبين الذين يقدسون الارض على حساب الانسان قد ينجحون في جر شعب اسرائيل نحو الضياع والهلاك بالرغم من كل شيء.

خطة اولمرت تتحدث عن التراجع والانطواء ضمن «الكتل الاستيطانية الموسعة وعن تغيير مسار الجدار الامني ـ وهذا بمثابة نجاح للمتسوطنين لانهم يعرفون انه لا يوجد من يقبل هذه السياسة احادية الجانب في الطرف الاخر.

كل مساحة الضفة تبلغ 6 الاف كيلو متر مربع أي (30 في المئة) من مساحة اسرائيل عشية حرب حزيران (يونيو) ولكن اسرائيل ليست مستعدة لاعادة هذا القدر القليل بسبب وجود «حقائق على الارض» ـ أي الحقائق التي فرضها المستوطنون. وهكذا يقترح اولمرت حلا مستحيلا: ثلاث كتل استيطانية تقطع أوصال الضفة وتحول الكيان الفلسطيني الى دولة غير قابلة للبقاء. كتلة ارئيل الكبرى ستقطع مركز الضفة وكتلة معاليه ادوميم التي ستتصل بالقدس من خلال منطقة E-1 ستقطع الضفة الى شطرين وغوش عصيون ستدس اصابعها متغلغلة نحو كريات اربع وتقضم الاراضي الممتدة جنوبا. هل يخطر ببال أحد أن يظهر فلسطيني واحد ليوافق على ذلك؟ وهل ستوافق اية دولة كانت على مثل هذا الضم؟

الضم المكثف سيقود نحو اتجاه آخر: تواصل الحرب الدموية وليس للهدوء والمفاوضات والسكينة، وان لم تتمكن حماس من توفير البضاعة فسيتحول الفلسطينيون اليائسون نحو القاعدة ونواصل نحن العيش على حد السيوف في حرب دائمة وتدفع ثمن العقارات خلال دم ابنائها ـ الى ان تأتي حرب ياجوج وماجوج التي يتمنى المستوطنون قدومها، عندها ستقوم هذه الحرب «بتطهير الضفة» وربما «تطهرنا نحن ايضا». لذلك نقول انهم لم يفشلوا بعد. بالتأكيد لا.

هناك مجال مركزي واحد نجح المستوطنون فيه تماما: «تحويل فك الارتباط عن غزة الى صدمة ورفع ثمنها الى عنان السماء. ميزانية الانسحاب الاصلية لـ 7,000 شخص كانت 5,5 مليار شيكل. الا انها تضخمت الى مليار في الوقت الذي لا تملك فيه هذه الحكومة 500 مليون لمكافحة حوادث الطرق او 400 مليون لتعديل سلم الادوية الضحلة. ولكن لدى هذه الحكومة 3,5 مليار شيكل للتجاوز غير المخطط لميزانية فك الارتباط نتيجة لذلك ستصل تسعيرة ترحيل 70 الف مستوطن في الضفة الى رقم ضخم يصعب تحمله. ولدى المستوطنين نجاح آخر: النجاح على المستوى الاعلامي في عدم ابراز العلاقة بين تكلفة الاستيطان الهائلة وبين الوضع الاقتصادي المتردي الذي تعاني منه طبقات كثيرة. الجمهور لم يستوعب حقيقة أن المليارات المحولة للمناطق تأتي على حساب التنمية في مدن التطوير وان ذلك يؤثر على خط الفقر وعلى الفجوات الواسعة بين الشرائح المختلفة.

المعطيات بالفعل تشير الى ان الفقر والفجوات قد اخذا في الاتساع منذ أوساط السبعينيات وهذا يتزامن مع الفترة التي بدأت تتزايد فيها تكلفة الاستيطان والامن في المناطق.

هناك علاقة واضحة بين مستوى الشوارع المتردية وحوادث الطرق الصعبة داخل الخط الاخضر وبين الجسور والانفاق والطرق المتطورة في الضفة. المستوطنون نجحوا حتى في اخفاء العلاقة بين تدني المنتوج القومي (50 في المئة بالمقارنة مع الغرب) وبين النفقات الهائلة في المناطق.

المستوطنون طمسوا كذلك الصلة بين العنف المتفشي في المجتمع الاسرائيلي وبين العنف «المشروع» في المناطق. ولكن الامر الاشد بلاءا من ذلك كله هو نجاحهم في طمس ابصار الناس عن حقيقة تحول اسرائيل الى دولة احتلالية متجبرة وقاسية تقوم بقتل الناس بلا محاكمة وتسلب الاراضي بغطاء قانوني وتهدم المنازل وتمس بالارزاق وتتسبب في الفقر والبطالة والفاقة في صفوف شعب بأكمله وتسخر من توراة ورسالة انبياء اسرائيل. فمن الذي سيزيل الغبار عن عيونكم يا عاموس ويشعياهو وبرمياهو؟

نحميا شترسلر
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/3/21